مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٢: ١–١١)
لمَّا حلَّ يومُ الخمسين كان الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ واحد* فحدث بغتةً صوتٌ من السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ تَعصِفُ وملأَ كلَّ البيت الذي كانوا جالسينَ فيه* وظهرت لهم ألسِنةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من نارٍ فاستقرَّت على كلٍّ واحدٍ منهم* فامتلأوا كلُّهم من الروحِ القدسِ وطفِقوا يتكلَّمون بلُغاتٍ أُخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا* وكان في أورشليمَ رجالٌ يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمَّةٍ تحت السماءِ* فلمَّا صار هذا الصوتُ اجتمع الجمهورُ فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمعُهم ينطِقون بلغتِه* فدهِشوا جميعُهم وتعجَّبوا قائلينَ بعضُهم لبعضٍ ألَيس هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم جليليين* فكيف نسمعُ كلٌّ منَّا لغته التي وُلد فيها* نحن الفرتيين والماديينَ والعيلاميينَ وسكَّان ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية وبُنطُسَ

أيقونة العنصرة

في التقليد الأرثوذكسي الشريف لا يُنظر إلى الأيقونة كمجرّد عمل فنّي جميل تزدان به الكنائس، لا سيما أيقونات الأعياد والأحداث الخلاصية، بل كـ«إنجيل مصوّر» يتكامل بالصورة مع البشارة المكتوبة.

في كنيستنا الأيقونة هي واحد من تعابير الإعلان الإلهي وجزء من الحركة الليتورجية الشاملة. في الأعياد تُزيَّح الأيقونة ثمّ تُعرض ليتبرّك المؤمنون منها لا باللمس والتقبيل وحسب، بل باقتبالهم ما تُبشّرهم به. بمعنى آخر نحن متى سجدنا لأيقونة، فإننا لا نسجد لصورة بل للحدث الخلاصي الذي تبشّرنا به. لأجل هذا نسمي صُنع الأيقونة «كتابة» وليس «رسماً»، ولأجل هذا أيضاً تخضع كتابة الأيقونة لقواعد لاهوتية وعقائدية صارمة.

في ما يلي سوف نسعى إلى تفسير أيقونة عيد العنصرة العظيم، كما نراها في كنائسنا المقدّسة.

تُقسم أيقونة العنصرة إلى ثلاثة أقسام عامودية: أعلى وأوسط وأسفل، وإلى قسمين أفقيين: خلفي وأمامي. القسم الخلفي يصوّر سوراً وأبراجه، وعلى السور شبه مشلح أو رداء أرجواني اللون. السور يرمز إلى المدينة، والمدينة في أيقونة العنصرة هي «المدينة المقدسة أورشليم الجديدة» (رؤ ٢١: ٢) التي بحسب مفسّري سفر الرؤيا هي الكنيسة الظافرة حيث ملكوت الله. أما الرداء الأرجواني فهو علامة الظفر. نأتي إلى القسم الأمامي: في الأعلى نرى نصف دائرة يعبرها إثنا عشر خطاً وكأنّها من نور. هذا الشكل النصف – دائري يرمز إلى القبة السماوية، وخطوط النور هذه ترمز إلى نعمة الاستنارة المنحدرة من عند الله بحلول الروح القدس.

العدد ٢٠١٣/٢٥

الأحد ٢٣ حزيران

أحد العنصرة

تذكار الشهيد أفسابيوس

أسقف سميساط

في القسم الأوسط نرى القديسين الرسل الإثني عشر جالسين على مقعد خشبي نصف دائري، وهذا الشكل من المقاعد كان شائعاً في مدارس الفلسفة حيث كان يجلس التلاميذ، والفيلسوف المعلّم في رأس الدائرة. أما في أيقونة العنصرة فرأس الدائرة، مكان جلوس المعلّم، فارغ لأن المعلّم هو المسيح الذي صعد إلى السماء والروح القدس هو «المعزي الآخر» الذي أرسله المسيح بعد صعوده. نشير

وآسِيَة* وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيْروان والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاء والكريتيين والعرب نسمعهم ينطِقون بألسنِتنا بعظائِم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٧: ٣٧–٥٢)

في اليوم الآخر العظيم من العيد كان يسوعُ واقفاً فصاح قائلاً إن عطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَب* مَن آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه إذ لم يكنِ الروحَ القدسَ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكن بعدُ قد مُجِّدَ)* فكثيرون من الجمعِ لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليلِ يأتي* ألم يقل الكتابُ إنَّه من نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيث كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدث شقاقٌ بين الجمع من أجلِه* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسِكوهُ ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه يداً* فجاء الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاء لهم لِمَ لم تأتوا به* فأجاب الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثلَ هذا الإنسان* فأجابهم الفريسيون

هنا إلى أن هذا المكان الفارغ في رأس الدائرة يظهر مثلّثاً، كشكل حجر الزاوية الذي يمسك البنيان، وحجر الزاوية في الكنيسة هو المسيح. تجدر الإشارة أيضاً إلى أن تصوير الرسل الإثني عشر في أيقونة العنصرة لا يعني أن هؤلاء هم حصراً الذين كانوا في علّية صهيون. فالرسول بولس (الأول من اليمين) لم يكن قد آمن بالمسيح بعد، والقدّيسَين الإنجيليَين مرقس ولوقا لم يكونا من تلاميذ المسيح الإثني عشر الأوائل. الأيقونة، كما قلنا آنفاً، لا تصوّر حدثاً تاريخياً بل حدثاً خلاصياً، وتدبير الله الخلاصي يتجاوز أبعاد الزمان والمكان. الروح القدس، الذي انحدر حسّياً في ذلك اليوم الخمسين بألسنة النار التي نراها على رؤوس التلاميذ، إنما انحدر على الكنيسة التي وإن تأسّست في ذلك اليوم فهي ممتدة إلى الأبد. في يد كلّ من الرسل القديسين نرى لفافة، هذه ترمز إلى البشارة التي حملها الرسل إلى الذين بشّروهم من شعوب الأرض. في الفن التشكيلي العالمي، على اختلاف مدارسه، الأبعاد هي كما تراها العين البشرية: الأدنى إليك في الصورة حجمه أكبر من الأبعد. أما في الأيقونة عموماً، فهذه الأبعاد معكوسة: ففي أيقونة العنصرة نرى الرسل القديسين متساوين في الحجم، وعلى مسافة واحدة من العين. أما معنى هذا فهو أن الرسل القدّيسين هم متساوون مكانة، أمام الله وفي خدمة الكنيسة، وليس بينهم مَن هو أدنى إلينا من غيره أو مَن هو أهم من غيره.

في بعض أيقونات العنصرة نرى الكلية القداسة والدة الإله واقفة في وسط التلاميذ. نصّ أعمال الرسل يقول «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة» (أع ٢: ١)، ولعلّ كلمة «الجميع» هنا ترتبط بآية سابقة «هؤلاء كلّهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة، مع النساء، ومريم أم يسوع» (أع ١: ١٤). هنا أيضاً، تصوير الكلّية القداسة يرمز إلى ما هو أبعد بكثير من وجودها أو عدم وجودها في علية صهيون عند انحدار الروح القدس. في هذه الأيقونات نرى الكلية القداسة لا جالسة بين الرسل بل واقفة في وسطهم، وأكبر منهم حجماً، إذ هي أرفع منهم مقاماً، وهي كانت تجمعهم وتشدّدهم بعد صعود ابنها الإله إلى السماء، وهي ما زالت تجمع أبناء الكنيسة وتشدّدهم. مع هذا، لا نراها تشغل «مكان المعلّم»، الذي أشرنا إليه أعلاه. في القرن الثامن عشر ظهر شكل من اشكال أيقونة العنصرة، بتأثير من الفن التشكيلي الغربي، يُجلس الكلّية القداسة في مكان المعلّم. هذا الشكل ليس مقبولاً عندنا، وإن كان ثمّة مَن لا يزالون يتناقلونه. والدة الإله الكلية القداسة، وإن كانت أرفع بغير قياس من الملائكة والقديسين، لا يمكنها (ولم تُرد أبداً) أن تحلّ محل ابنها المسيح إلهنا.

نأتي إلى القسم الأسفل، وهو المساحة المقوّسة الشكل التي تتوسّط أسفل مقعد الرسل. هنا نرى رجلاً يحمل مشلحاً عليه إثنتا عشرة لفافة. بعض الأيقونات تصوّر هنا النبي يوئيل، الذي سبق فأنبأ بحلول الروح الإلهي إذ قال «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر» (يو ٢: ٢٨)، والإثنتا عشرة لفافة ترمز إلى أسباط إسرائيل الإثني عشر، أي شعب الله عموماً في كل زمان ومكان. ثمة

ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتُم* هل أحدٌ من الرؤساءِ أو من الفريسيين آمن به* أمَّا هؤلاء الجمعُ الذين لا يعرفون الناموسَ فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديمُس الذي كان قد جاء إليه ليلاً وهو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنساناً إن لم يسمع منه أولاً ويعلَم ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلَّكَ أنت أيضاً من الجليل. إبحث وانظر إنَّه لم يَقُم نبيٌّ من الجليل* ثم كلَّمَهم أيضاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم مَن يتبَعني فلا يمشي في الظلام بل يكونُ له نورُ الحياة.

تأمل

كيف يمكن للروح القدس أن يكون موعد الآب؟ ذلك لأن الآب نفسه وعد به منذ القديم بفم الأنبياء. قال على فم حزقيال: «سأعطيكم قلباً جديداً وروحاً جديداً وسأجعل روحي في أحشائكم» (حز ٣٦: ٢٦) وعلى فم يوئيل: «وسيكون بعد هذه الحوادث أني أسكب روحي على كل بشر» (يو ٣: ٢٨). هذا وإن فرح الآب والإبن وموعدهما واحد ولذلك قال للذين يؤمنون به: «الذي يشرب من الماء الذي أنا أعطيه يتحوّل إلى ينبوع ماء حي يجري لحياة أبدية» (يو ٧: ٣٨).

أيقونات أخرى تصوّر هنا، بدل النبي يوئيل، رجلاً طاعناً في السن يلبس لباساً أحمر وعلى رأسه تاج، يحمل المشلح نفسه، وخلفه ومن حوله ظلام وكأنّه في مغارة (تشبه المغارة التي تصوَّر تحت الصليب وفي داخلها جمجمة). الشيخ هنا يرمز إلى العالم القديم، إلى الخليقة التي شاخت بفعل ابتعادها عن الله، وصارت تعيش في الظلام. اللباس الأحمر يرمز إلى الأهواء التي تمكّنت من الإنسان، والتاج يشير إلى الخطيئة التي تملّكت به. أما المشلح الأبيض واللفافات الإثنتا عشرة فترمز إلى بشرى الخلاص التي حملها الرسل القديسون إلى العالم، الذي كان بعد في الظلام. «الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور»، يقول النبي إشعياء (٩: ٢).

صلاة السجدة

في أحد العنصرة الذي هو اليوم الخمسون بعد الفصح، يكتمل عمل الله الخلاصي بإرساله الروح القدس على التلاميذ المجتمعين في عليّة صهيون. في هذا العيد يطبّق الرب يسوع الوعد الذي أعطاه لتلاميذه، قبيل انطلاقه إلى الصليب، بإرسال الروح المعزي «لكنّي أقول لكم الحقَّ إنّه خير لكم أن أنطلق، لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبتُ، أرسله إليكم» (يو ١٦: ٧).

في مساء أحد العنصرة نحتفل بصلاة غروب «إثنين الروح القدس» المعروفة بـ«صلاة السجدة»، وفيها يقرأ الكاهن ثلاثة أفاشين يطلب فيها حلول الروح القدس على المجتمعين في الكنيسة حيث يكون الجميع في حالة سجود.

جرت العادة أن تقام هذه الخدمة مباشرة بعد قداس العنصرة ليشارك فيها العدد الأكبر من المؤمنين. في هذه الخدمة نعود ونسجد للمرة الأولى منذ عيد الفصح، إذ طيلة الفترة الفصحية لا يتم السجود لأن السجود هو تعبير جسدي عن التوبة، وعدم السجود طيلة الفترة الفصحية هو تعبير عن فرح القيامة الذي تحياه الكنيسة الفرحة بقيامة الرب يسوع من بين الأموات وإبادة الجحيم وبالتالي تحرّر الإنسان من عبودية الخطيئة. هذا التقليد كان سائداً في القرون الأولى وكرَّسته الكنيسة في مجمع نيقية عام ٣٢٥م. في هذا اليوم، نعود لنسجد ونطلب حلول الروح القدس علينا ليكون سنداً لنا في حربنا ضد مكائد الشيطان.

يعود أصل عيد العنصرة إلى الرسل أنفسهم وتدل شهادات الكتاب وأقوال الآباء والتاريخ على أنّ الرسل وضعوه واحتفلوا به. في هذا العيد كان المصلّون يقرأون صلوات السجدة وهم وقوف ويقال أن السبب في اتخاذ السجود عند قراءتها كما هو متبع اليوم يرجع إلى ما حدث مرة بينما كان القديس مكاريوس البطريرك الانطاكي يتلو الطلبات، إذ هبت ريح عاتية كما حدث في علية صهيون يوم عيد الخمسين، فخر المصلّون ساجدين وتكرر هبوب الريح مع سجود المصلّين ثلاث مرات، فأخذت الكنيسة هذه العادة إلى يومنا هذا. وعلى هذا الرسم تستقبل الكنيسة فعل الروح القدس وهي ساجدة.

قد يسأل البعض لماذا علينا السجود، ألا يحلُّ الروح القدس علينا إن لم نسجد؟ نجد الجواب في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا «ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب

وقد فسّر الإنجيلي يوحنا هذا الكلام في ما يلي: «قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يقبلوه» ولكن عندما كان يسير نحو الآلام الخلاصية كان يقول للتلاميذ «إن كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم إلى الأبد روح الحق» وأيضاً: «متى جاء المعزي الذي أرسله إليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي وسيرشدكم إلى الحقيقة كلها» (يو ١٥: ٢٦).

الآن تحقق الوعد ونزل الروح القدس مرسَلاً من الآب والإبن وأشرق بنور على التلاميذ القديسين وأشعل فيهم أنواراً إلهية أو بالأحرى جعل منهم كواكب المسكونة، عندهم كلمة الحياة الأبدية، وأنار بواسطتهم المسكونة بأسرها. كما أنه بشمعة مضاءة يشعل الواحد شمعة أخرى وبهذه الأخيرة شمعة ثالثة وبالتسلسل يحافظ على النور الذي يبقى بحوذته دائماً بالشرطونية ابتداءً من الرسل حتى خلفائهم إلى مَن أتى بعدهم كانت نعمة الروح القدس تُسلّم من جيل إلى جيل منيرة الذين كانوا في طاعة الرعاة، الآباء الروحيين والمعلّمين...

القديس غريغوريوس بالاماس

بالروح والحق. لأنَّ الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٣–٢٤). ويقول القديس باسيليوس الكبير عن السجود: «كل مرة نسجد فيها إلى الأرض نشير إلى كيف أحدرتنا الخطيئة إلى الأرض، وحينما نقوم منتصبين نعترف بنعمة الله ورحمته التي رفعتنا من الأرض وجعلت لنا نصيباً في السماء». وفي الموضوع عينه يقول أحد اللاهوتيين «وكما أنّ التلاميذ سجدوا للرب يسوع وهم يرونه صاعداً، نسجد نحن له أيضاً إذ نرى الروح القدس نازلاً. لهذا، صعد يسوع لينزل الروح. فكما ودّعناه نستقبله الآن بالسجود. إنّ إحناء الركب يعني تماماً انفتاح القلب لعمل الروح، إذ نحن نقدِّم ضعفنا، وتوبتنا، وخشوعنا، لأنّ قوّته تكمل في ضعفنا» (٢ كور ١٢: ٩).

ذكرنا مسبقاً أنّه في خدمة «صلاة السجدة» يقرأ الكاهن ثلاثة أفاشين يطلب فيها من الله أن يرسل روحه القدوس علينا ليسكن فينا، ويطهِّرنا من كل دنس، ويخلّص نفوسنا. قبل كل أفشين يطلب الشماس من الحاضرين السجود «أيضاً وأيضاً بإحناء الركب من الرب نطلب». في الإفشين الأول نطلب من الله أن يمنحنا مغفرة خطايانا «استجب لنا الآن نحن المتضرعين إليك واذكرنا نحن الذليلين المدانين... اقبلنا نحن الجاثين لديك والهاتفين إليك قد أخطأنا... أهّلنا أن نرجع إليك، التفت إلينا بإشفاق وإنعام وقابل مآثمنا برأفتك وكثرة زلّاتنا بلجّة تحنُّناتك... هب صفحاً للمتّكلين عليك واترك لنا ولهم خطايانا وطهِّرنا بفعل روحك القدوس وحلَّ عنَّا حيل العدو». في الإفشين الثاني نطلب من الله أن يُعلّمنا كيف نصلّي وأن يدبّر حياتنا ويدلّنا على الطريق الذي نسلك فيه ويمنحنا روح الحكمة والفهم ويُعطينا ما نطلبه للخلاص «فأنت إذاً يا شعاع الآب... افتح شفتيَّ أنا الخاطئ وعلّمني كيف ينبغي ومن أجل من يجب أن أصلّي لأنّك أنت العالِم كثرة خطاياي الغزيرة لكن تحننَّك الذي لا يُحصى يغلب كثرتها... فلأجل هذا أنا الخاطئ أطلب إلى صلاحك في عيد حلول روحك القدوس أن تعطيني كل ما أطلبه للخلاص». أما في الإفشين الثالث فنطلب الرحمة لكل الراقدين «فاقبل الآن أيها السيد توسُّلاتنا وتضرعاتنا ونيّح كل واحد من آبائنا وأمهاتنا وإخوتنا وأخواتنا وأولادنا وكل مَن هو مساوٍ لنا في الجنس والقبيلة وجميع النفوس التي تنيَّحت على رجاء القيامة والحياة الأبدية ورتب أرواحهم وأسماءهم في سِفْر الحياة، في أحضان إبرهيم وإسحق ويعقوب في بلدة الأحياء، في ملكوت السموات، في فردوس النعيم». وعند الإنتهاء من تلاوة كل إفشين يقول الشماس: «أعضد وخلّص وارحم وأنهضنا يا الله بنعمتك» ويتابع الطلبة السلامية الصغرى.

في هذا اليوم المبارك نضرع إلى الله أن يسكب روحه القدوس علينا مرتلين مع الكنيسة «أيُّ إله عظيم مثل إلهنا أنت هو الله الصانع العجائب وحدك».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb